دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة عشرة، ربيع ۱۴۰۰، العدد التاسع والأربعون: صص ۱۲۷- ۱۴۲

تحرير الإنسان المعاصر من الأزمة فی أشعار خليل حاوی

افشار قاسم آبادی*

تاريخ الوصول: ۹۹/۳/۱۳
تاريخ القبول: ۹۹/۶/۲۹

الملخّص

تحتوی أشعار *خليل حاوی* علی صدی الإنسان المعاصر ومصاعبه التی تتحدث عن الألـم والمعاناة والظلم الذی تحمله. فهو يعتبر الإنسـان فـی عصـرنا الحاضـر، وخاصـة الإنسـان العربی المعاصر، مخلوقاً أسيراً وقع فی الأزمة الحالية، ومحاطـاً بـالقمع. كمـا تنـاول فـی قصائده المظلمات والأزمات التی جعلت الرجل العربی الحديث، وخاصة الجيـل المعاصـر، راكداً، لدرجة أن قصائده تصور أزمة عميقة ومأساة، وهذه هی نفس الأزمة والحزن الـذی أصبح أساس الوجود الإنسانی المعاصر؛ و الشاعر المعاصر لا يجهل وعی الإنسان المعاصـر بقهره ومشاكله، ويسعی إلی تفسير الإنسان المعاصر بالمبدأ الإنسانی. *خليل حاوی* لديـه أفكار لإنقاذ البشر فی أشعاره و يستخدم خبراته الوجودية و يعبر عنها. يعتقد *حـاوی* أن الإنسان المعاصر من أجل إنقاذ نفسه جعل حرية عنوان حياته وبشعارات مثل؛ الأمل، فی انتظار المعجزة، وباليقين، النضال، الثورة، الإنتفاضة والمثالية يحاول العمل بهـذه الأفكـار وجهوده ونضالاته من أجل إنقاذ الإنسانية، وخاصة الرجل العربی، وفی كل هـذه الظـروف يأمل فی تحقيق الحرية التی يرغب فيها.

الكلمات الدليلية: خليل حاوی، الشعر، الإنسان المعاصر، الظلم، الحُرّيّة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* ماجستير فی اللغة العربية وآدابها ومدرس المدارس الثانوية بمدينة صحنة. f.kakavand63@gmail.com

المقدمة

تأثر العالم العربى بالثقافة والحضارة الغربية فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وشهد العديد من التغييرات فى مجالات السياسة والحضارة المادية والتكنولوجيا وأنماط الحياة، وفى مجالات الأدب، والشعر، والمسرحيات، والقصة، والقصص القصيرة والروايات تعرف على الإنجازات الجديدة للحضارة الغربية. ومن بين هذه التحولات، ظهر شعراء فى لبنان والبلدان الأخرى يعتبرون شعراء من الشعر العربى الحر. كان *خليل حاوى* من الشعراء المنسيين بسبب وفاته المفاجئة وظهور شعراء عظماء فى لبنان، وهو ما لم يكن يستحقه، لكنه كان من أوائل الشعراء العرب الجدد الذين لجأوا إلى أسلوب رمزى واتجهوا إلى المدرسة الوجودية فى قصائده. يمكن للغة الشعرية فى العصر المعاصر، نظراً لمستوى عالٍ من السياسة والاستخدام الدقيق للكلمات، أن تحمل صوراً شعرية تنقل فكرة أفضل من اللغة العادية؛ لكن الهدف هو استخدام لغة تصور معاناة الإنسان المعاصر وتنقل مشاعره وعواطفه. يمكن القول بأن أعظم سمات *خليل* هى خلق مأساة شعرية فى الشعر الحر، والتى يقدمها على أنها أسطورة. وهذه المأساة فى ديوانه الأول «نهر الرماد» وخاصة فى مجموعته الشهيرة من القصائد كـ«البحار والدرويش» يصف الأزمة الروحية للعصر الجديد فى تحقيق الحرّيّة. فى الواقع، يعبر الشاعر عن تجاربه الوجودية، وهى تجربة لم يسبق لها مثيل فى الشعر، إلا لدرجة أنها أدت إلى تعاطف الشاعر وخوفه من عدم تحمل الشاعر لها وانتحر. هو يريد من الشعر أن يؤلف الآلام التى تضرب فى أعماق الوجود الإنسانى ويتعامل مع المشاكل الروحية والفكرية من أجل الوصول إلى اليقين الذى يخوضه فى المعركة. يستخدم *خليل حاوى* فى التعبير عن مشاعره وأفكاره الإنسانية سياقات وأساليب مختلفة مثل الرمزية، الأسطورية، والتراثية فى معظم قصائده. يعبر *خليل حاوى* فى قصائده بصدقٍ عن مشاكل الإنسان المعاصر وسبل الخروج من هذه الأزمات. هو يطرح قضايا مثل البعث، الثورة، الحرية والمثالية فى حياة الإنسان المعاصر ليشهد إنقاذ وحرية الإنسان المعاصر.

فأسئلة البحث هى:

- ما أهم مشاكل الإنسان المعاصر من وجهة نظر *خليل حاوى*؟
- ما الذى يعتقده *خليل* هو السبيل لإنقاذ الإنسان المعاصر من المشاكل التى يواجهها؟

سابقية البحث

البحوث التی تمّ إجراؤها بخصوص هذا الموضوع هی:

- مقالة بعنوان «بررسی تطبیقی ابلیسانه‌های خلیل حاوی و فروغ فرخزاد»، لـ *ثریا رحیمی*؛ *کبری روشنفکر*، فصلية محكمة، مجلة الأدب العربی، خريف وشتاء ۱۳۹۸ش، سنة ۱۱، العدد ۲.

فی هذا المقال، تحلل الكاتبتان رمز الشيطان فی قصائد *خليل حاوی* و*فروغ فرخزاد* وتشرحان كيف أن المصادر المشتركة مثل الأفكار الوجودية والتعرف على الأعمال الرومانسية الغربية من جهة والمرارة المتتالية للشاعرين فی حياتهما، كانت مؤثرة فی بعضهما لبعض.

- مقالة بعنوان «تحلیل قصیده «البحار و الدرویش» بر پایه نظریه ژاک لکان»، لـ *الهه ستاری*، *مهدی خرمی سرحوضکی*، فصلية محكمة، مجلة پژوهشنامه نقد ادب عربی، خريف وشتاء ۱۳۹۷ش، العدد ۱۷.

قام مؤلفا هذا المقال، باستخدام المنهج الوصفی التحليلی والاعتماد على نظرية *لكان* والعناصر الثلاثة فی نظريته، بتحليل قصيدة «البحار والدرويش» *لخليل حاوی*.

- مقالة بعنوان «مقایسه تطبیقی کارکرد اسطوره در شعر خلیل حاوی و منوچهر آتشی»، لـ *سید علی سراج*، الفصلية المحكمة، مجلة پژوهشنامه انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی، صيف ۱۳۹۷ش، العدد ۵۶.

درس المؤلف فی هذا البحث تجليات الأسطورة فی شعر *خليل حاوی* و *منوتشهر آتشی* باستخدام المنهج الوصفی التحليلی المعتمد على مدرسة الأدب الأمريكی المقارن.

- مقالة بعنوان «توظیف اسطورة العنقاء(ققنوس) فی قصیدتی «ققنوس» لنیما یوشیج و «عصرالجلید و بعد الجلید» لخلیل حاوی»، لـ *حسین ناظری*؛ *عباس طالب زاده*؛ *علی اصغر قهرمانی مقبل*؛ *حسن عریضی*، فصلية محكمة، مجلة كاوشنامه ادبيات تطبيقی، ربيع ۱۳۹۶ش، العدد ۲۵.

حاول المؤلفون فی هذا المقال أن يجيبوا على هذا السّؤال: هل الشّاعران نجحا فی توظيف هذه الأسطورة فی قصيدة «ققنوس» وقصيدة «عصر الجليد وبعد الجليد»؟ وبعد دراسة الأسطورة فی القصيدتين المذكورتين وصلوا الى أنّ الشّاعرين وظفا هذه الأسطورة

لكی یصوّرا أجواء بیئتهما الاجتماعیّة، کما استخدما کیفیّة مماته وحیاته من جدید تعبیراً لأملهما وأهدافهما السّامیة.

- مقالة بعنوان «أشکال التناص الدینی فی شعر خلیل حاوی»، لـ *علی نجفی ایوکی*؛ *فاطمه یگانه*، فصلیة محکمة، مجلة دراسات فی اللغة العربیة وآدابها، صیف ١٣٩٠ش، العدد ۶.

هذه المقاله تعمد إلی دراسة استدعاء التراث الدینی(التوراة، الإنجیل والقرآن) وتوظیفه فی شعر الشاعر تحت قوانین التناص، والشاعر من خلال تناصاته الدینیة یحرص علی أن یتحدی القضایا السیاسیة والاجتماعیة للوطن العربی.

کما رأینا، لم یتمّ إجراء أی بحث حول موضوع «إنقاذ الإنسان المعاصر من الأزمة فی أشعار خلیل حاوی» حتی الآن.

إنقاذ الإنسان المعاصر من الأزمة فی أشعار خلیل حاوی

استندت الطبیعة البشریة إلی حقیقة أنها تمیل دائماً من الوقائع إلی الحقائق، فإنها تمیل إلی أن تکون کما ینبغی أن تکون، وترید أن تعیش بلا قهر وبلا طغیان وبلا خطیئة حیث تسود الحریة. لکن کانت هناک دائماً عقبات وثغرات فی طریق تحقیق هذه المطالب. علی الرغم من هذه المشاکل والتناقضات، فقد أراد الإنسان دائماً الإستفادة من الصعوبات والقفز إلی الأفق الواسع واللانهائی للحقائق والخلاص فی مجتمعه. تظهر هذه المواجهات والصراعات الاجتماعیة والسیاسیة بوضوح فی شعر *خلیل حاوی*. لأنه یؤمن أن الإنسان المعاصر، بالرغم من کل الآلام والمصاعب والاضطهاد یمکنه أن یقف ضدّها ویجد طریقة للتخلص منها.

یقدّم *خلیل حاوی* مکوّنات لإنقاذ الإنسان المعاصر من الأزمات التی سنتناولها هنا.

١.الأمل فی التحریر

رغم أن *خلیل* یکون شاعراً مؤلماً ومعذباً، وفی قصائده یتفوق التشاؤم علی التفاؤل، وانتصار الموت علی الحیاة، وسیطرة الیأس علی الأمل، والشک علی الیقین، لکن فی خضم هذه اللحظات والتجارب، یمکن أحیاناً رؤیة بوادر أمل، علامات علی قرب اللیالی لیست فی «لیالی بیروت»، لکنها قد تکون علی الجانب الآخر من بیروت. حیث یشیر «المجوس

فى أوروبا»، حيث يعتقد ويؤمن أهله أن «العرى نقاوة» وهم بعيدون عن طباع بيروت التى «وجوهها وعقولها أسماء مستعارة». فى قصيدة «بعد الجليد»، تتزايد علامات هذا الإيمان أكثر فأكثر، ويستخدم الشاعر رمز تموز- إلهة البركة والخصوبة- ليظهر المجتهدون وروّاد المستقبل(شفيعى كدكنى، ١٣٨۴: ١٣٩). يقول الشاعر:

«يا إلهَ الخَصبِ، يا تمُّوزُ، يا شَمسَ الحَصيد/ بارِكِ الارضَ الّتى تُعطى رِجالاً/ أقوياءَ الصُّلبِ نَسلاً لا يَبيد/ يَرثونَ الأرضَ لِلدّهرِ الأبيد»(حاوى، ١٩۶٨: ١٢٨)

نعم، بقوله هذا وعلى الرغم من كل خيبات الأمل فى ديوانه نجد أن هناك قصائد ومقاطع تفتح أبواب الأمل للخلاص والنجاة، عندما يسأل المأمول فى «نهر الرماد»:

«أتُرى يُولَدُ مِن حُبّى لِأطفالى/ وحُبّى لِلحياة/ وفارِسٌ يَمتَشِقُ البَرقَ عَلَى الغُولِ»(نفس المصدر: ١٥٨)

مما لا شک فيه أن مثل هذه المهاويل يوجد أمل وتفاؤل للتخلص من الظلام والوصول إلى النور المفتوح الذى يفسر على أنه كنوز ويذكر أن كنوزه هى فرحة الأيدى التى أعطاها، وإيمان وتذكر أبنائه التوأمين هما نتيجة الحقول وحضور مهرجان الحصاد:

«إخرِسى يَا بُومة تَقرَعُ صَدرى/ بومَة التّاريخ مِنّى ما تُريد؟/ فى صَنادِيقى كنُوزٌ لا تَبيد/ فَرِحى فى كُلّما أطعمتُ/ مِن جَوهَرِ عُمرى/ فَرَحُ الأيدى الّتى أعطَت وَإيمانٌ وَذِكرى/ إنَّ لى خَمراً وَجَمراً/ إنَّ لى أطفالَ أترابى/ ولى فى حُبِّهِم خَمرٌ وَزاد/ مِن حِصادِ الحَقلِ عندى ما كَفانى/ وكَفانى أنَّ لى عيدَ الحَصاد/ يا مَعادَ الثَلجَ لَن أخشاک/ لى خَمرٌ وَجَمرٌ لَلمَعاد» (نفس المصدر: ١٧١)

٢.البشر الأحرار

لقد تمّ الإشادة بالبشر الأحرار وسيُثنى عليهم عبر تاريخ البشرية، وهم يبحثون دائماً عن الحرية لتشكيل حياتهم وفقاً لرغباتهم، وهذه علامة من علامات نهاية المأساة. فى قصيدة «الجسر» يتحدث *خليل حاوى* عن جيل من البشر الأحرار الساعين إلى الحرية، ويصورهم وهم يعبرون جسراً يمرّ ببطءٍ:

«يَعبَرونَ الجِسرَ فى الصُّبحِ خِفافاً/ أضلُعى امَتدَّت لَهُم جِسراً وطيد/ مِن كُهوفِ الشَّرقِ، مِن مَستَنقعِ الشَّرقِ/ الى الشَّرقِ الجديد/ أضلُعى امتَّدت لَهُم جسراً وطيد/ سَوفَ يَمضُونَ

وتَبقَى/ صَنَماً خَلَّفَهُ الكُّهانُ لِلرِّيح/ التى تُوسِعُهُ جَلداً وحَرقاً/ فارِغَ الكَّفين، مَصلوباً، وَحيد/ فى لَيالى الثَّلجَ وَلاٌفقُ رمادٌ/ ورَمادُ النار، وَالخُبزُ رَماد/ وَيُوافيکَ مَعَ الصُّبح البَريد/ صَفحَة الأخبَارِ... كشم تَجتَّر ما فيه/ تُفَّليها... تُعيد...»(حاوى، ١٩٦٨: ١٦٩-١٦٨)

٣.الكفاح والنضال

يكون الإنسان دائماً رجلاً سياسياً وكفاحياً ضدّ المغتصبين فى مجتمع مضطهد، ويعانى من الجهاد فى غياب التحرير، والشاعر فى هذا المجتمع هو من يقاتل بمساعدة شعره. كان *خليل حاوى* من الشعراء الذين استخدموا *المسيح(ع)* و معاناته على الصليب رمزاً لكفاح الإنسان المعاصر ضد الظلم الذى وقع فيه. يصور الشاعر فى قصيدة «الحب وجلجلة» كفاح الإنسان المعاصر الذى يقاتل من أجل من يحبهم؛ لأن الإنسانية لا تُفهم إلا فى النضال، وبهذه الطريقة تتجاوز كل الآلام لتظهر اهتمامها الشديد بالنضال ضد الظالمين والطغاة:

«كَيفَ لا أنفَضُّ عَن صَدرى الجَلاميدَ/ الجلاميدَ الثِّقال/ كَيفَ لا أصرعُ أوجَاعى ومَوتى/ كَيفَ لا أضرَعُ فى ذِلٍّ وصُمتٍ:/ «رُدَّنى، ربِّى، إلى أرضى»/ «أعِدنى للحياة»/ وَليَكن ما كانَ، عانِيتُ مِنها/ مِحنَة الصَّلب وأعيادَ الطغاة/ غَيرَ أنِّى سَوفَ ألقى كُلُّ مَن أحبَبتُ/ مَن لَولاهُمُ مَاكان لى/ بَعثٌ، حُنَينٌ، تمنَّى...»(حاوى، ١٩٦٨: ١٣٣-١٣٢)

يتحدّث *خليل حاوى* فى قصيدة «فى صومعة كمبريج» عن معركة أخرى، وهذه المعركة على الهوية العربية المعاصرة، معركة على الأفكار القديمة، والتى يعبر عنها برمز «الناسک المخذول»:

«النّاسِکُ المَخذُولُ فى رَأسى/ يُطِلُّ علَّىِ يَسَألُنى، بَحَار/ أهمَلتَ فَرضَکَ»(نفس المصدر: ٢١٣)

٤.الثورة والإنتفاضة

إن حركات الثورة والإنتفاضة والتحول هى نتاج الابتعاد عن العار والفساد الذى حل بالأمة. يكون التنوير والبعث لخروج الإنسان من ذنبه، ممّا أدى إلى الفساد، هو التحرر من هذه الذنوب. كان *خليل حاوى* من أولئک الذين عبروا بطريقة أسطورية عن البعث بعد

الركود الذى أدى إلى التحرير. هو يقرّ بأنّ أى شخص يقرأ شعرى سَيَرى بلا شک الثورة على أنها مسعى عفوى مستمر فعال فى اختراع الرموز المستمدة من الحكايات الشعبية والظواهر الطبيعية، وفى كلمات مثل تموز، عنقا، بعل، سندباد، و... يتجلى(حجا، ١٩٩٩: ٢٣٢). يستخدم *خليل حاوى* أسطورة تموز التى ترمز إلى انتصار الحياة والخصوبة على الموت والجفاف، وأسطورة عنقا الذى يموت ثم يلتهب رماده ويبعث، للتعبير عن هذه الثورة والإنتفاضة:

«إن يَكُن، ربّاهُ/ لا يُحيَى عُروقَ الَميِّتينا/ غَيرُ نارٍ تَلِدُ العَنقاءَ نار/ تَتغذَّى مِن رمَادِ المَوتِ فينا/ فى القَرار»(حاوى،١٩٦٨: ١٢٦-١٢٥)

٥.ثورة على المضامين الفكرية والروحية القديمة

بعد أن أدرک الإنسان العربى المعاصر هيمنة القيم والأفكار القديمة عليه، اشتعل الشغف والاهتمام الذى بداخله لتجاوز الركود الذى أصاب عقل الإنسان وجوهره؛ لذلک يعبر فى البداية عن هذا العقم الفكرى والروحى فى قصيدة «السندباد فى رحلة الثامنة»، كيف بقيت على حالها على مرّ السنين، ويعتبر من الضرورى تغييرها:

«رحلاتى السَّبعُ و مَا كنَّزتُهُ/ مِن نِعمَةِ الرّحمنِ وَ التِّجارَة/ يَومَ صَرَعتُ الُغُولَ والشَّيطانَ/ يَومَ انشَّقتِ الأكفانُ عَن جِسمِى/ وَلاحَ الشَقُّ فى المغارة»(حاوى، ١٩٦٨: ٢٥٧-٢٥٦)

يصبح *خليل* بالتعبير عن هذا الركود أكثر تحفيزاً للثورة وتحولاتها، وعندما يتجلى هذا الركود فى وجه الحياة فى مدينته يزداد دافعه ويترک «السندباد» التى هى رمز الإنسان المعاصر للهروب من الوضع الحالى والتخلص منه:

«وَاللَّيلُ فى المدينة/ تَمتصُّنى صَحراؤه الحَزينة/ وغُرفَتى يَنمو على عَتبَتِها الغُبار/ فأبتَغى الفَرار»(نفس المصدر: ٢٥٥)

٦.ثورة على المضامين الدينية

بعد أن رأى الإنسان المعاصر نفسه مغموراً فى دوامة المحيط ذات المحتوى الدينى، فكر فى تغيير هذه المحتويات الدينية التى يعتبرها بعض الناس مقدسة. قادهم هذا إلى التحول الدينى الذى لا حرج فيه من وجهة نظر الإنسان المعاصر:

«وكانَ فی الدّارِ رواقٌ/ رَصَّعت جُدرانَه الرَسُّوم/ مُوسَی یَری/ إزمیل نارٍ صاعِقَ الشَّرر/ یَحفِرُ فِی الصَّخرِ/ وَصایا ربِّه العَشَر:/ الزِّقَتُ والکِبریتُ واللمُلحُ عَلَی سَدُومِ»(نفس المصدر: ٢٥٨)

٧.ثورة علی التناقضات بین القیمة والممارسة فی المجتمع

کان الإنسان المعاصر یفکر باستمرار فی المحتوی الضروری لتحرره وحریته حتی وصل إلی تناقض بین القیم والفعل. للتعبیر عن هذه التناقضات، یصور *خلیل* کاهناً یتظاهر بالدفاع عن القیم غیر الحقیقیة:

«عَلَی جدارٍ آخرٍ إطار/ وکاهنٌ فِی هَیکلِ البَعلِ/ یُربِّی أفْعوُاناً فَاجِراً وبُومٌ/ یَفتَضُّ سِرَّ الخصبِ فی العَذَاری/ یُهلِّلُ السُّکاری»(نفس المصدر: ٢٥٩)

ویتحدث أیضاً فی ابیات أخری عن *أبی العلاء المعری*، الذی کان أعمی طوال حیاته وعاش بعیداً عن الناس، لکنه کان دائماً یعرض المرأة للقبح والاتهامات بالفساد:

«هذا المَعرِّی/ خَلفَ عَینَیهِ/ وَفی دِهلیزِهِ السّحیق/ دُنیاهُ کَیدُ آمرَأةٍ لَم تَغتَسِل مِن دَمِهَا»(نفس المصدر: ٢٦٢)

ومرة أخری یشیر إلی الخادمة التی قتلها ولیها بدافع الغیرة غیر المقصودة- کما حدث فی مسرحیة الشاعر الإسبانی الشهیر *لورکا*- أو بسبب حماسة دیک *الجن* الغبیة التی أجبرته علی قتل وحرق جسد زوجته:

««لُورکا» و«عُرسُ الدَّم» فی إسبانَیا/ وَسَیفُ دیکِ الجِنّ یَومَ إرتدَّ مِن حماة/ العُنُقُ العاجیُّ نَهرٌ أحمَرٌ/ یَا هَولَ ما جَّمدهُ المَوتُ عل الشّفاة»(نفس المصدر: ٢٦٢)

کانت کل هذه القیم الاجتماعیة الفاسدة التی جعلت الإنسان المعاصر یسقطها ویفتح عینیه علی نافذة مشرقة.

٨.ثورة الإنسان المعاصر علی نفسه

لا یحقق الإنسان أی هدف أبداً، ولن تنجح جهود تغییره وتحوله فی المجالات الروحیة والثقافیة والدینیة والاجتماعیة إلا إذا قام بتغییر فی ذاته الحقیقیة، وبهذه الطریقة یحقق النتیجة أخیراً، کما قال الله تعالی فی القرآن: ﴿إِنَّ اللهَ لَا یُغَیِّرُ مَا بِقَومٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا مَا بِأنفُسِهِمِ﴾(الرعد/ ١١). تمکّن *خلیل حاوی* من تألیف قصائد یکون فیها فهم الشاعر للوجود

بحيث يتشابک عالم الشاعر الخاص مع المجتمع الذی يعيش فيه. لدرجة أن تحـرر الفـرد الذی يسعی إليه الشاعر من خلال شعره هو فی نفس الوقت تحرير المجتمع الذی يعـيش فيه.

توصل الإنسان المعاصر فی شعر *خليل* إلی استنتاج مفاده أن مـا يجـب أن يغيـره أولاً هو الثورة والتحول الذی واجهه فی الماضی، والذی كان مليئاً باللوم والنفاق والخـداع. لـذا فإن سندباد مصمم علی التنحی عن هذا المنصب، وبعد انتظار طويـل، فجـأة بـدأت ريـاح التغيير تهب وتخدر الإنسان المعاصر، فتحوله إلی طفل لا يخجل عريه ويصبح قلبه أخضر، وكل قبح ونجاسة يمحو من لوح قلبه:

«لَن أدَّعی أنَّ مَلائکَ الربِّ/ ألقی خَمره بِکـرأ وجَمـرأ أخضـراً/ فـی جَسَـدِی المغلُـول بِالصَقيع/ صفَّی عُروقی مِن دَمٍ/ مُحتَقِنٍ بالَغازٍ والسّمومِ/ عَن لَـوحِ صـدری مَسـحَ/ الـدمَغَاتِ والرَّسوم»(حاوی، ۱۹۶۸: ۲۷۳)

۹.الإنسان المعاصر ينتظر معجزة

عندما يكون الإنسان فی مأزق وتقلبات الحياة ويسقط فی فخ المعاناة والتشـابک، فإنـه يتوقع شيئاً غير عادی يفتح له نافذة ويكون منقذه. فی مواجهة الدمار والكوارث والحـروب التی عصفت بالمدينة المعاصرة، وكذلک القمع الذی حل بالجيل المعاصر والمرأة، واليـأس والركود الذی يحيط بهم؛ لا يقدّم *خليل* للإنسان المعاصر حلاً غير معجـزة تعيـد المدينـة العربية المعاصرة وجيلها إلی صحتها الأصلية؛ المعجزات التی تتناسـب مـع مقـدار الـدمار الذی لحق بالمكان والإنسان، معجزات إلهية يقدّمها *خليل* مـن تراثـه وذاكرتـه التقليديـة. الخضر الذی يضیء الكهرباء علی الغول والتنين، و*محمد(ص)* الذی هزم *خسرو أبرويز* علی يد الإيرانيين وأخيراً *عيسی(ع)* وأعوانه(الضاوی،۱۳۸۴: ۶۴). يقول *خليل حاوی*:

«فارِسٌ يَمتَشقُ البَرقَ عَلَی الغول/ عَلَی التَنين، ماذا هَل تَعوُدُ المُعجزات/ بَـدَویٌّ ضَـرَبَ االقَيصَرَ بالفُرس/ وطِفلٌ ناصِریٌّ وَحُفاة/ روَّضوا الـوَحشَ بِرومـا، سـحَبوا/ الأنيـابَ مِـن فَـکَّ الطغاة/ هَل تَعودُ المُعجزات»(حاوی،۱۹۶۸: ۱۵۹-۱۵۸)

فالإنسان المعاصر يتوسل ويأسی أمام الله وينتظر أن تحل المعجزة محلها بعد الظلمـة والانحراف والنكبات الخصبة والينابيع المتدفقة:

«هَل تَعُودُ المُعجِزات/ باسمِ هذا الصُّبح فـی «صِـنِّين»/ وَالعُتمَـةُ خَلفـی وَجحـيم الـذَ كَريات/ وَليَحُلَّ الخَصبُ وَالتَجرِ اليَنابيع»(المصدر النفس: ١۶٠)

نعم، *خليل حاوی* يتمنی عودة كل المعجزات إلی العصر المعاصر لكـی تعـود الحيويـة والنضارة إلی حياة الإنسان المعاصر.

١٠.الإنسان المعاصر فی اليقين

يصل *خليل* اليقين فی أسطورة «عنقا» ويعلم الأجيال القادمة بأنهم سـيحققون نتـائج كما فعل «عنقا» بعد حرق نفسه فی النار لبناء حياة جديدة:

«فَلنِعانِ مِن جَحيمِ النّارِ/ ما ينحُنا البَعـثَ اليقينـا/ أُممـاً تَـنفضُّ عَنهـا عَفَـن التّـاريخِ/ واللعنَةَ، والغُيبَ الحَزينا/ تَنفُضَّ الأمسَ الذَّی حجَّرَ»(حاوی، ١٩۶٨: ١٢۶)

يتأكد الشاعر فی قصيدة «السندباد فی رحلته الثامنة» من أنـه أتـی ليهـديها لسـاحة المدينة ويترک القيم القديمة فی دوامة ويستبدلها بالخضـرة والسـلام اللـذين أحضـرهما معه:

«فی ساحةِ المدَينة؟/ كانَت خَطاها/ زورقاً يُجیُ بالهزيج/ مِن مَرَح الأمواج فـی الخَلـيجِ/ كانَت خُطاَها تَكسرُ الشَّمسَ/ عَلَی البلوّرِ، تَسقيهِ الضِّلالَ/ الخضر والسكينه/ لَم يَرَها غَيرِی» (نفس المصدر: ٢٧٨-٢٧٧)

١١.الإنسان المعاصر ينتظر التبشير والخلاص

بعد أن عانی *خليل* من المصائب والمعاناة التی حلت بالأمة، ثار عليهم وحقّـق اليقـين. إنه يعطی الإنتظار والتبشير للإنسان المعاصر.

السندباد فی أشعاره تحدث ثورة فی الحضارة الفاسدة القديمـة، ويضـعها الشـاعر نبـی بعث الحضارة الجديدة، وتأتی هذه الساعة ويضیء الحلم فی عيون سندباد كالشمس.

هذا هو حلم عالمنا الجديد الذی نراه مخفيّاً فی الضمير الباطن:

«واليومَ، والرُّؤيا يا تَغَّنی فی دمی/ بِرعشَةِ البَـرقِ وصـحو الصَّـباح/ وَفطـرةِ الطيـرِ التَّـی تَشَتُّم/ ما نيَّةُ الغاباتِ والرّياح/ تُحِسُّ ما فی رَحمِ الفَصلِ/ تراَه قَبـلَ أن يولـدَ فـی الفُصُـولِ/ تُنوِّرُ الرؤيا وماذَا/ سوف تأتی سَاعَةٌ/ أقولُ مَا أقول»(نفس المصدر: ٢٩٠-٢٨٩)

نعم، يتوقع الشاعر التبشير الذى على الغصن الأخضر، أن هناک ملايين المنـازل علـى هذه الفروع- مثل منزل السندباد- وأن للناس الحق فى العيش وفى إنجاب الأطفـال مثـل الكروم والزيتون فى الضوء والهدوء:

«تحتلُّ عَينَّى مروجٌ، مُدخَناتٌ/ وإلهٌ بعضُهُ بَعلٌ خَصيبٌ/ بعضُهُ جَّبارُ فَحـمٍ ونـار/ مِليُـونُ دارٍ مثلُ داری ودار/ تزهو بأطَفالٍ غُصونِ الكرمِ/ والزيتـونِ، جمـرِ الربيـعَ»(نفـس المصـدر: ٢٩١-٢٩٠)

ثـم يعـود الإنـسان المعاصـر بالتبـشير علـى شفـتيه، مـا علـيه أن يـراه ويشـعر بالعـودة:

«عُدتُ إلَيكم فى فمِه بِشَارَة/ يَقُول ما يقول بِفِطرةِ تَحِسُّ ما فى رَحِمِ الفَصلِ/ تَراهُ قَبـلَ أن يُولدَ فى الفُصُول»(المصدر السابق: ٢٩٩)

يصور الشاعر فى كثير من قصائده حياة رجل عربى، لذا كانت الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨ من الأسباب التى فتحت حلم الشاعر، ووضعت حداً لظـاهرة الانحـدار، وبـذلت بخلق حضارة جديدة(جيده، ١٩٨٦: ٢٤٦)

١٢.الإنسان المثالى المعاصر

المثالية هى الرغبة فـى التحـرر مـن الاختناقـات والقفـز نحـو أفـق الحقـائق الواسـع واللانهائى. الأنبياء، الأولياء، الفلاسفة والعلماء الحقيقيـون هـم تماثيـل للعظمـة والتجلـى للكمال ألهموا البشر منذ العصور القديمة، من خلال الثقافة البشرية.

كان *خليل* من الشعراء الذين يرسمون هذه الشخصيات، ولا سيما *عيسى(ع)*، يعبر عن الإنسان المعاصر المثالى الذى، على الرغم من كل المعاناة والآلام التى يتحملها، يفكر فـى المرور عبر البشر والبحث، ويصر على البحث عن هويته العربية، ولديه القدرة علـى تغييـر الحقائق وبناء حضارة جديدة مثل *عيسى(ع)*، ويأخذه الشـاعر إلـى مرحلـة المثـل الأعلـى الذى توقعه، والذى يعبر عنه فى قصيدة «كهف»:

«يا مَن حَللَت وكُنتَ لى/ ضَيفاً عَلَى غَيرِ إنتظار/ وملأتَ مائِدَتى/ بِطَيب المَنّ والسَّـلوى/ سكبَتَ الخَمر مِمَّا ليس تَعرِفُه الجَرار»(حاوى،١٩٦٨: ٣٠٨)

١٣.الإنسان المعاصر فی التحرر والحرية

لقد وصل الحرّية *خليل حاوی* بعد أن مرّ بكل مراحل التغيير والتحول فی كل المجالات وبعد أن حقّق اليقين وتلقيه التبشير. رأی *خليل* الشعب العربی المعاصر يكتسب الحرية ويحترمها، ورأی أنهم تحرروا من تراثهم القديم، وتطهيرهم من زلاتهم، وأعداؤهم مثل التماسيح لقد طردوا أرضهم:

«ما كانَ لی أن أحتَفی/ بالشَّمسِ لَو لَم أرَكُم تَغتَسلوُنَ/ الصُّبحَ فی النيلِ وفی الأُردنِ والفُراتِ/ مِن دَمغَة الخَطيئةِ/ وكلُّ جسم رَبوَةٌ تَجوهَرت فی الشَّمس/ ظِلٌ طيِّبٌ، بحيرةٌ بِريئَةَ/ اما التَّماسيحُ مَضَوا عن أرضنا»(نفس المصدر: ٢٩٤)

نتيجة البحث

يقدم *خليل* حاوی فی أشعاره صورة للإنسان يتعامل من خلالها بطريقة جديدة مع حقيقة أن اكتشاف الإنسان المعاصر والتعامل معه لا يقتصر فقط علی مجال العلوم، لاسيما العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفة والنظريات، بدلا من ذلک، فی بعض الأحيان أو حتی فی كثير من الأحيان، فإن البصيرة واكتشاف الإنسان المعاصر فی الشعر هو أقدم بكثير وأفضل وأعمق من المجالات الأخری. صورة الإنسان المعاصر فی شعر *خليل*، إنسان يحيط بحياته القهر والمعاناة، وأزمة وصوله إلی المعرفة واليقين فی الشرق والغرب ظاهرة واجهها وتجلت فی معظم قصائده. من وجهة نظر *خليل حاوی*، واجه العالم المعاصر وخاصة العالم العربی وبالتالی لبنان، ظلماً ودماراً وانحرافات وضلالات. وهذه هی المشكلة الأكبر والأكثر جوهرية التی يواجهها المجتمع البشری المعاصر؛ لأن هذه الآلام أدّت إلی الرّكود فی آفاق الحياة البشرية المعاصرة. يعتبر *خليل* الإنسان المعاصر إنساناً كان يبحث دائماً عن الحقائق والوقائع ويبحث عن طريقة أو طرق للتخلص من هذه المشاكل والقمع والأزمات التی يواجهها. يعتقد الشاعر أن الإنسان المعاصر يری مخرجاً من هذا الجمود والعقم بأمل وحرية ويقين. ومن خلال انتظار المعجزات ثم التحول والثورة علی نفسها وعلی القيم الدينية والاجتماعية والفكرية القديمة، ومحاربة المشاكل، والمثالية تخطو خطواتها الأساسية نحو الحرية. يری *خليل* أنها تحتوی علی الخطوة الأولی فی تحرير ثورة الإنسان، وبعد ذلک يجد الإنسان، شاء أم أبی، طريقه إلی التطورات المقبلة.

المصادر و المراجع

القرآن الکریم.

جبر، جمیل. ۱۹۹۱م، **شعراء لبنان؛ خلیل حاوی**، بیروت: دار المشرق.

الجیدة، عبدالحمید. ۱۹۸۶م، **الإتجاهات الجدیدة فی الشعر العربی المعاصر**، لبنان: دار الشمال.

حاوی، خلیل. ۱۹۶۸م، **الأعمال الکاملة**، بیروت: دار الفکر العربی.

حجا، میشال خلیل. ۱۹۱۹م، **مِن أحمد شوقی إلی محمود درویش**، بیروت: دار العودة.

الحرّ، عبدالمجید. ۱۹۹۵م، **خلیل حاوی شاعر الحداثة والرومانسیة**، بیروت: دار الکتب العلمیة.

شفیعی کدکنی، محمد رضا. ۱۳۸۴ ش، **شعر معاصر عرب**، تهران: انتشارات توس.

الضاوی، احمد عرفات. ۱۳۸۴ش، **کارکرد سنت در شعر معاصر عرب**، ترجمه دکتر سید حسن سیّدی، مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسی مشهد.

المقالات

رجایی، نجمه. ۱۳۸۲ش، «**حکایات سندباد به روایت نای و باد**»، مجله تخصصی زبان و ادبیات، تابستان، دوره ۳۶، ش ۲، مشهد، دانشگاه فردوسی مشهد.

نصیری، روح الله. ۱۳۸۴ش، «**توظیف الرموز الأسطوریة فی شعر خلیل الحاوی(بیادر الجوع أنموذجاً)**»، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، شتاء، العدد ۲۸.

Bibliography

The Holy Quran.

Jabr, Jamil. 1991, Lebanese poets; Khalil Havi, Beirut: Dar Al-Mashreq.

Al-Jideh, Abdolhamid, 1986, New manifestations in Arabic contemporary poetry, Lebanon: Dar al-Shomal.

Havi, Khalil 1968, Complete Works, Beirut: Dar al-Fekr al-Arabi.

Heja, Michal Khalil. 1919, from Ahmad Shawqi to Mahmoud Darwish, Beirut: Dar al-Awda.

Al-Horr, Abdolmajd, 1995, Khalil Havi, the poet of Hadith and Romania, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Elmiya.

Shafiee Kadkani, Mohammad Reza 2005, Arabic Contemporary Poetry, Tehran: Toos Publications.

Al-Zavi, Ahmad Arafat 2005, The Function of Tradition in Contemporary Arabic Poetry, translated by Dr. Seyed Hassan Seyedi, Mashhad: Ferdowsi University of Mashhad Press.

Articles
Rajaee, Najmeh. 2003, "Sandbad Tales as Narrated by Nay and Bad", Journal of Language and Literature, Summer, Volume 36, Issue 2, Mashhad, Ferdowsi University of Mashhad.
Nasiri, Ruhollah 2005, "The task of the mystical mysteries in the poetry of Khalil al-Havi (Biyadar Al-ju Anmuzajan)", Journal of Contemporary Literature Studies, Seventh Year, Shataa, number 28.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Release of contemporary man from crisis in Khalil Havi's poems

Afshar Ghasemabadi: MA in Arabic language and literature and teacher of high schools in Sahna city

Abstract

Khalil Havi's poems contain an echo from contemporary man and his problems and hardships that speak of the pain, suffering and oppressions on him. Havi considers man in the present age, especially Arabic contemporary man, to be a captive creature that is caught in the current crisis and is surrounded by oppression. Poet in his poems also deals with the oppressions and crises that caused man to be stagnant in the present age, to the extent that a deep crisis and tragedy is depicted in his poems, and this is the crisis and sorrow that is the basis of human existence. Havi is not unaware of contemporary man's awareness of his oppression and problems and it is to explain contemporary man with the human principle. In his poems, he considers ideas for human release and uses his existential experiences and expresses them. According to Khalil Havi, contemporary man, in order to free himself, has made release as the top priority of his life and with slogans such as hope, waiting for miracles, certainty, struggle and revolution, resurrection and idealism, strives for release and freedom and alleviation of its pains and sufferings in order to be able to do an action with these ideas and efforts and struggles for the release of humanity, in particular, the Arabic man and in all these circumstances, he hoped to achieve the freedom he wanted.

Keywords: Khalil Havi, Poetry, Contemporary Man, Oppression, Release.

رهایی انسان معاصر از بحران در اشعار خلیل حاوی

افشار قاسم آبادی*

چکیده

اشعار *خلیل حاوی* پژواکی از درون انسان معاصر و مشکلات و سختی‌های اوست که از دردها و رنج‌ها و ستم‌های وارد آمده بر وی سخن می‌گوید. *حاوی*، انسان در عصر حاضر خصوصاً انسان معاصر عربی را موجودی در بند و اسیر می‌داند که در بحران موجود گرفتار آمده و ظلم و ستم وی را احاطه کرده است. همچنین شاعر در اشعار خود به ظلم‌ها و بحران‌هایی که انسان عصر حاضر را دچار رکود و جمود ساخته، می‌پردازد، تا جایی که بحران و تراژدی عمیق در اشعارش به تصویر کشیده شده است و این همان بحران و اندوهی است که مبنای وجودی انسان معاصر گشته است. *حاوی*، از آگاهی انسان معاصر نسبت به ظلم و ستم و مشکلات خود غافل نبوده است. وی در اشعارش برای رهایی بشر ایده‌هایی را در نظر دارد و از تجارب وجودی خود بهره جسته و به بیان آن‌ها می‌پردازد. به عقیده *خلیل حاوی*، انسان معاصر برای رهایی خود آزادگی و آزادمنشی را سرلوحه زندگی خود قرار داده و با شعارهایی چون امیدوار بودن، در انتظار معجزه بودن، یقین، مبارزه و انقلاب، رستاخیز و آرمانگرایی، برای رهایی و آزادی و کاستن از دردها و رنج هایش می‌کوشد تا بتواند با این ایده‌ها و تلاش‌ها و مبارزه‌هایش برای رهایی بشریت، خصوصاً انسان عربی اقدامی انجام داده باشد و در همه این احوال امیدوار بوده بتواند به آزادی مورد خواست خود دست یابد.

کلیدواژگان: خلیل حاوی، شعر، انسان معاصر، ستم، آزادی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی و دبیر دبیرستان‌های شهرستان صحنه.